مقدمة عن ماليزيا والدكتور محاضير محمد

سافرت إلى ماليزيا عشرات المرات... وفى بعض السنوات كنت أعيش فيها شهورًا تقارب المدة التى أعيشها فى مصر...

أحببت الطبيعة الخلابة فى ماليزيا والتى تجعلك تراها جنة الله على الأرض... عرفت الشعب الماليزى عن كثب... ولاحظت تقدمه بخطوات واسعة فى مدة قصيرة... وأذهلتنى الإضافات السريعة فى البنية الأساسية بين كل زيارة وأخرى... بل شاهدت فى عشر سنوات بناء ثلاثة معالم كبرى: برجى كوالالمپور ـ المطار الجديد ـ العاصمة الجديدة... والثلاثة على قمة المستوى العالمى...

وأعجبنى افتخار الماليزيين ببلدهم، ورفعهم أعلامه .. وبأنهم مسلمون، ويفتخرون أيضًا بأن الشعب الماليزى متعدد الأعراق والثقافات والأديان... فالملايويون حوالى ٥٥ ٪ .. وكلهم تقريبًا مسلمون .. والصينيون حوالى الثلث ومعظمهم بوذيون، والهنود حوالى ١٠ ٪ ومعظمهم هندوس. وتستضيف ماليزيا عمالة آسيوية تزيد عن ١٠ ٪ من عدد السكان الذين لا يصلون إلى ٢٥ مليونًا ... نصف تلك العمالة المهاجرة من إندونيسيا .. وهم نفس العرق: المالايو ... والباقى من الدول المجاورة ... تايلاند، والفليپين وبنجلاديش وپاكستان، وغيرها.. فماليزيا تشتكى من نقص القوة العاملة، وليس من البطالة..

اقتربت من الشعب الماليزى وأعجبنى فيه أيضًا البساطة ... فى ملبسه ومأكله ... وتعاملاته ... وفى إتقان العمل ... واحترامه للقانون ... بدءًا باحترام إشارات المرور حتى فى أطراف العاصمة ... بل وخارجها وحتى فى المناطق الريفية ... مع العلم بأنه يمكنك قيادة السيارة فى كوالالمپور، لمدة أسبوع أو أكثر ... قد لا ترى فيه جندى مرور واحدًا... ولكن الكل فى انضباط تام...

يمر موكب رئيس الوزراء، أو الملك ... فتجد سياراته لا تزيد عن أصابع اليد الواحدة ... ولا يتوقف المرور أكثر من دقائق قليلة...

أخذنى أحد الأصدقاء الماليزيين لزيارة قصر رئيس الوزراء السابق فى كوالالمپور ـ قبل الانتقال للعاصمة الجديدة پوترا چايا ـ فلم نجد جنديًّا واحدًا للحراسة، فأصاب صديقى الخجل، وأصابنى العجب...

أدخل إلى ماليزيا من مطارها الدولى أسهل مما أدخل إلى مصر من مطار القاهرة... أشترى سيارة بالتقسيط فى ماليزيا أسهل مما أفعل فى مصر ... أستأجر شقة أسهل .. تدخل الكتب المرسلة من مصر إلى ماليزيا أسهل مما تدخل الكتب المستوردة من لبنان أو أوروپا أو أمريكا إلى مصر ... بل وأسهل من رجوع الكتب المصرية إلى مصر ...

أقوم بتأسيس شركة فى ماليزيا، أسهل من تأسيس شركة فى مصر...

ليس هناك أى قيود على إنشاء الأحزاب ... وهناك حزب إسلامى ... وأحزاب عرقية صينية وهندية وأحزاب أخرى مختلطة ومؤتلفة ... كذلك ليس هناك قيود على إصدار الصحف والمجلات ...

ماليزيا حصلت على استقلالها بعد مصر بعدة سنوات ... وكان الشعب متخلفًا بدرجة كبيرة فى كل المجالات .. التعليم ـ السياسة ـ الاقتصاد ـ تقريبًا فى كل شىء .. كان يعتمد على الزراعة وتصدير المواد الخام ... وكانت كوالالمپور حتى نهاية السبعينيات مدينة متواضعة مثل مدن الوجه البحرى أو القبلى فى مصر...

كيف أصبحت كوالالمپور على قدم المساواة مع أجمل عواصم العالم وأكثرها تقدمًا؟

كيف أصبحت ماليزيا فى قائمة أول عشرين دولة تجارية فى العالم بصادراتها وارداتها التى تزيد كل منها عن مائة بليون دولار سنويًّا، ومعظم الصادرات صناعية وليست مواد خامًا؟

كيف اجتذبت ماليزيا، وهى فى آخر جنوب شرق آسيا، على حافة العالم، ما يقرب من ١٥ مليون سائح سنويًّا؟

أذكر أنه منذ بضع سنوات حضر إلى ماليزيا رئيس وزراء مصرى سابق ، ومعه وفد

كبير من الوزراء ورجال الأعمال ... وحضرت إحدى المناسبات التى تكلم فيها رئيس الوزراء عن أهداف زيارته ... وبعد ذلك قابلت صديقًا ماليزيًّا ـ رحمه الله ـ كان من أوائل الماليزيين الذين تعلموا فى مصر .. فى خمسينيات القرن الماضى ـ سألنى صديقى: ما أهداف زيارة رئيس الوزراء؟ فأجبته أن من أهم ما أعلنه هو دعوة رجال الأعمال الماليزيين والحكومة الماليزية للاستثمار فى إصلاح الأراضى فى مصر، وفى تنظيم وإدارة الموانى المصرية..

سألنى صديقى الماليزى حزينًا متحسرًا: ماليزيا تصلح أراضى مصر؟ ماليزيا تنظم موانى مصر؟ ماذا حدث لمصر؟

كثيرًا ما دار هذا السؤال بخاطرى، وأنا أرى كيف تسابق ماليزيا الزمان للتقدم، وماذا يحدث فى مصر ... وكثيرًا ما عقدت مقارنات بسيطة بين مصر وماليزيا ...

فى أقل من أربعين سنة، انخفضت نسبة الأمية فى ماليزيا إلى أقل من ١٠ ٪ ...

فى إحصائية قديمة منذ بضع سنوات، كان عدد الماليزيين الدارسين فى جامعات خارج ماليزيا حوالى ١٠٠,٠٠٠ طالب .. يدرسون فى أقصى الغرب، أمريكا وكندا .. وإلى أقصى الشرق، اليابان وأستراليا، مرورًا بأوروبا والشرق الأوسط.

فى معرض كوالالمبور للكتاب ... نجد أمناء مكتبات جامعات وكليات يتحدث الواحد منهم عن ميزانية بين مليون إلى عشرة ملايين رنجت (ربع مليون إلى ٢,٥ مليون دولار) لشراء الكتب والمراجع ... وتخصم الدولة مشتريات الكتب الفردية من مستحقات الضرائب...

قابلت مهندسًا مصريًّا يُعدّ رسالة دكتوراه فى إحدى جامعات كوالالمبور، فأخبرنى أنه حصل من الجامعة الماليزية على منحة قدرها ١٠٠,٠٠٠ رنجت لشراء ما يلزمه من كتب ومراجع، وعمل الأبحاث اللازمة...

تغطى شبكة التأمين الصحى كل الماليزيين...

تغطى شبكة الطرق السريعة ـ ذات المستوى الذى لا يقل عن أوروبا والولايات المتحدة ـ معظم عواصم الولايات الماليزية ... مع رحلات بالطائرة يتجاوز عددها أربع رحلات يوميًّا لأكثر عواصم الولايات.

تبدأ معظم الأحداث الحكومية الهامة بقراءة القرآن الكريم والدعاء...

تحترم الحكومة ويحترم الشعب الخصوصيات الثقافية والدينية لكل عرق...

لماذا تقدمت ماليزيا بهذه السرعة عن مصر؟

قد يقول البعض إن ماليزيا لم تتعرض لحروب مثل مصر...

وهذا صحيح لحدٍّ ما ... لكن بعد حرب ١٩٧٣م لم تدخل مصر أى حروب ... بل فى الواقع حصلت مصر على مساعدات أمريكية مستمرة منذ أواخر السبعينيات لم تحصل ماليزيا على مثلها ... ولم تكن ديون مصر فى نهاية حرب ١٩٧٣م إلا ٣ أو ٤ بلايين دولار ... تضاعفت عدة أضعاف ... برغم إلغاء مديونيات كبيرة بسبب مواءمة السياسات التى تتخذها الحكومة المصرية مع السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط..

❁ ❁ ❁

تولى الدكتور محاضير رئاسة وزراء ماليزيا فى ١٦ يوليو ١٩٨١م، بعد أن تدرج فى عدة مناصب سياسية من عضو برلمان إلى وزير ثم نائب رئيس الوزراء....

درس الدكتور محاضير تاريخ الغرب وحاضره... متى هيمن الغرب وكيف؟ ما هى الأساليب التى اتبعتها الدول الغربية للتقدم ثم الهيمنة على العالم؟

كذلك درس الدكتور محاضير التاريخ الإسلامى، وعرف فترات ازدهاره وفترات انحطاطه... ووضع يده على الأسس التى قدمها الإسلام لبناء وازدهار الحضارة الإنسانية... وكتب العديد من المؤلفات السياسية والاقتصادية والاجتماعية...

آمن الدكتور محاضير بإمكانيات الشعب الماليزى وقدراته على اللحاق بركب التقدم... ورفع عدة شعارات، منها (انظر شرقًا) أى إلى الصين واليابان ودول شرق آسيا، و(ماليزيا بوليه) أى ماليزيا تستطيع التقدم.

وضع خطته الجريئة لتصبح ماليزيا دولة متقدمة بحلول عام ٢٠٢٠م، بناها على معارف ودراسات ورؤى مستقبلية، وفصَّل فيها مع مساعديه مجموعة من السياسات التعليمية والتجارية والصناعية والتكنولوجية والاجتماعية، لتقابل ماليزيا كل التحديات الداخلية والخارجية.

عـرف الـدكتور محاضـير قيمـة العلـم والتكنولـوچـيا، فوضع سياسـة متكاملـة لاكتسـابهما... وعـرف أهميـة طـرق النقـل والاتصال، فوضـع سياسـة جعلـت ماليزيـا تضاهى أكثر دول العالم تقدمًا فيها.

كذلك عـرف الـدكتور محاضير وحكومته أن البترول، والطاقة بصفة عامة، هى العمود الفقرى للحضارة الحديثة...

ولـذلك حظيـت شـركة پـتروناس (الشـركة الوطنيـة للـبترول) باهتمـامٍ كـبيرٍ مـن الحكومـة، فسـعت وراء التكنولـوچـيا العالميـة الحديثـة حتـى امتلكتهـا وطورتهـا ... وأصبحت تستكشف البترول فى ماليزيا ودول أخرى ... منها إيران والسودان وغيرها ... وأنشأت الشركة جامعة تكنولوچية متقدمة فى ماليزيا...

وأيضا عرف الدكتور محاضير أننا نعيش فى زمن التكتلات الكبيرة ... فبـذل أقصـى ما فى وسعه لتطوير جماعـة الآسيان، ومنظمـة الـدول الإسـلامية، وقـدمت حكومتـه اقتراحات لإصلاح الأمم المتحدة وجعلها أكثر ديمقراطية وأكثر عدلاً، وأكثر فعالية...

أراد الدكتور محاضير اعتزال العمـل السياسـى وهـو فـى قمـة نجاحـه، ولكـن حلـت الأزمة المالية بدول شرق آسيا عـام ١٩٩٧م، فصـمم علـى البقـاء حتـى إخـراج ماليزيـا منها...

استمع لتوصيات صندوق النقـد الـدولى والبنـك الـدولى للخـروج مـن الأزمـة، ثـم ضرب بها عرض الحائط، من الألف إلى الياء...

وضع خطته الوطنية للخروج من الأزمة...

فكانت ماليزيا أول دول شرق آسيا نجاحًا فى استعادة عافيتهـا الاقتصـادية والماليـة، وما زالت إندونيسيا ـ التى اتبعت توصيات المؤسسات الدولية ـ تتعثر فى خطاها...

وفـى مجـال السياسـة الخارجيـة، لم تمنـع التطلعـات الاقتصـادية والمعيشـية للشـعب المـاليزى وحكومتـه مـن اتخـاذ سياسـات جريئـة ومسـتقلة سـعيًا وراء العدالـة فـى المجتمع الدولى...

ظهر ذلك فى مواقف ماليزيـا مـن القضـية الفلسـطينية ... والاعتـداء الصـربى علـى

البوسنة والهرسك ... وأذكر تصريحًا للدكتور محاضير قال فيه أن منع السلاح عن البوسنة وهى تتعرض للعدوان الصربى هو قرار ظالم وغير شرعى ... وأعلن على الملأ أن ماليزيا سوف ترسل سلاحًا للبوسنة...

رفض الهجوم الأنجلو أمريكى على العراق، وقال عن بوش وبلير إنهما كاذبان، وإنهما مجرما حرب، وما زال يقول ذلك فى كل مناسبة حتى الآن.

اعتزل الدكتور محاضير الحكم عام ٢٠٠٣م، وأكد أنه لولا أزمة شرق آسيا لاعتزل قبل ست سنوات، واعتبر أن تلك كانت مدة طويلة بما يكفى.

ومنذ اعتزاله الحكم، يتلقى دعوات من كافة أنحاء العالم للحديث عن التجربة الماليزية، ورؤيته لأحداث العالم المختلفة والتعقيب عليها، وللمشاركة فى الاجتماعات والندوات الدولية الهامة.

ويمكننا تمييز المفاتيح الرئيسية لشخصية الدكتور محاضير فى المعرفة الواسعة، الإيمان العميق الواعى بدينه، وبالشعب الماليزى، والرؤية البعيدة لوطنه التى تتحقق بالإرادة والعزيمة، والاعتماد على النفس والشعب.

جاء الدكتور محاضير لمصر عدة مرات ... ورأى فيها كل إمكانيات التقدم ... وصرح مرة بأن مصر تنقصها إرادة التقدم.

وعن هذا الكتاب

يتكون هذا الكتاب من مجموعة كلمات ألقاها الدكتور محاضير فى مناسبات مختلفة.. عرض فيها أفكاره ورؤاه فى موضوعات متنوعة...

فالجزء الأول عن الإسلام والحضارة والسياسة والقيم، **والجزء الثانى** عن رؤيته لتقدم ماليزيا عام ٢٠٢٠م عبر مجموعة من السياسات، **والجزء الثالث** عن التجارة العالمية والعولمة.

عادل المعلم